الخطبة السادسة

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾

[الأنفال: 8/ 46]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى صحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي. اللهم أخلص عملي وسدد نيتي، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليّها ومولاها. اللهم إني أبرأ من حولي وقوتي وكل ما لدي وألتجئ إلى حولك وقوتك، أنت مالك الملك بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير، أما بعد:

دخل الإسلام والمسلمون الهند في بداية (92) هجرية، وفتح محمد بن القاسم بلاد السند (جزء من الباكستان) في سنة (92 هـ).

وفي الدولة العباسية فتح هشام بن عمرو الملقان وكشمير، ثم قامت مملكة الغزنويون، نسبة إلى مدينة غزنة التي كانت عاصمتهم، ومؤسس الدولة سُبُكتكين، وجاء ابنه محمود بن سُبُكتكين وحد أجزاء الدولة وعمّ الإسلام في أرجاء الهند وتوفي محمود في (421 هـ - 1529 م).

ثم جاء الغوريون بقيادة شهاب الدين الغوري الذي سيطر على الدولة الغزنوية في سنة (555 هـ) وكانت عاصمتهم دلهي، ثم جاءت دولة الخلجيين بقيادة جلال الدين فيروز الخلجي سنة (689 هـ)، ثم جاء آل تغلق بقيادة غياث الدين تغلق، وحكم آل تغلق الهند من (720 هـ) حتى (801 هـ).

ثم دخل تيمورلنك دلهي سنة (801 هـ) وحكمت أسرة خضر وهو من رجال تيمورلنك حتى (855 هـ).

ثم جاء اللوديون بقيادة بهلول اللودي الأفغاني وانتصر على آخر ملوك آل خضر وهو علاء الدين، وقد حكم اللوديون حتى (932 هـ)، ثم جاء المغوليون بقيادة ظهير الدين محمد بابر وانتصروا في معركة باني بت في (932 هـ) على اللودين.

وفي عام (986 هـ) استلم محمود جلال الدين (أكبر شاه) فضم بلاد الهند والأفغان، ووحد الأديان بين الإسلام، البراهمية - البوذية - الزرداشتيه وغيرها، وحرم ذبح الأبقار، وأباح الزواج من المشركين والمشركات، وجعل مدينة بور مقراً للعقيدة الجديدة الباطلة، وسمح بتأسيس مذهب السيخ بقيادة غور وأعطاه الملك أكبر شاه قطعة أرض أسس عليها مدينة أمريستار وصار عددهم الآن (11) مليون ويتمركزون في البنجاب.

ثم جاء الإنكليز وأسقطوا الدولة المغولية سنة (1273هـ)، وكان آخر الملوك المغوليون بهادور، وأعان الإنكليز السيخ والمهراتا وضموا إلى صفوف الجيش جميع الفرق وأهمها الهنادك، وقتل الإنكليز المسلمين وقبضوا على بهادور وقتلوا أولاده الثلاثة في (11) مايو سنة (1857 م - 26 رمضان 1235 هـ) ووضعوا رؤوسهم في طبق وغطوه حتى قدومهم لبهادور على أساس أنه عشاء.

قد يستغرب القارئ الكريم من هذه المقدمة، ولكن الهدف منها تبيان بأن المسلمين فتحوا الهند والسند في سنة (92 هـ) وبقوا فيها حتى سنة (1235 هـ) يعني (1144) سنة، ثم فشلوا وانهزموا واندحروا وقُتِّلوا حتى إن رؤوس أولاد بهادور قُدِمُوا لأبيهم كعشاء، وما ذلك إلا لأمرين:

1 - الفرقة والتكالب على الحكم وحب الدنيا والركض وراء الشهوات من سلطة ومال ومراكز ونساء، وهذا ما قاله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 8/ 46].

2 -أعداء الله، وأعداء الإسلام والمسلمين الذين ينتظرون فرصة للانقضاض علينا وهؤلاء لا عهد لهم ولا دين ولا أمانة ولا إنسانية، وهذا ما قاله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: 9/ 10].

3 - عدم اتباع ما قاله الله تعالى وعدم فهم تعاليمه سبحانه وتعالى ومخالفتها.

أ - أمرنا الله سبحانه وتعالى بعدم اتخاذ الكافرين أولياء، أي: عدم موالاتهم وعدم الركون إليهم، وعدم تسليمهم زمام أمورنا، وعدم جعلهم مستشارين لنا ومخططين لنا اقتصاديًا واجتماعيًا وعسكريًا.

ب - أمرنا سبحانه بالتضامن والاتحاد مع إخواننا في العقيدة والمِلّة، فماذا فعلنا؟! أعطينا الجنسية لليهود وحرمناها المسلمين العاملين. ج - أمرنا بعدم الولاء للكفار، نحن الآن نقيم معهم المشاريع والاستثمارات.

د - قال الله تعالى لنا: بأنهم أعداءنا، ولا يريدون الرخاء والسعادة لنا، كاذبون، أفّاكون، منافقون، قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 3/ 118].

خالفنا الله تعالى في كل شيء، وخالفنا رسوله ﷺ في كل ما حذرنا منه، فانظر إلى حالنا ترى النتيجة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله ﷺ فمن قلة بنا يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت» حم - د - ن ثوبان.

صدق رسول الله ﷺ، فهذا العالم يتكالب علينا وينهب ثرواتنا ويدمر مساكننا ومزارعنا وآبارنا، انظر إلى سوريا، انظر إلى العراق، انظر إلى اليمن، انظر إلى أفغانستان، انظر إلى ميانمار والتي هي بورما ... هناك أمة مسلمة اسمها الروهينغا تعيش في بورما يحكمها البوذيون (الماغ) من أصل هندي، واحتل الإنكليز بورما سنة

(1824 م) وفي سنة (1937 م) جعلت بريطانيا ميانمار مع أركان مستعمرة مستقلة عن الهند.

حرضت بريطانيا البوذيين على قتل المسلمين فكانت مذبحة (1942 م) قتل حوالي (100) ألف مسلم ومسلمة، وفي عام (2010 م) قام البوذيون بقتل وتشريد (3 – 4) مليون مسلم. إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 9/ 8].

(كيف): أداة استفهام وتعجب، و(الإل): هو الضياء الشديد، والصوت العالي، وهو الحوار والقرابة والتحالف واليمين والقسم والرحمة وما تدعو إليه، ومعناه –والله أعلم–: أن الأعداء عندما يهاجموكم ويتسلطوا عليكم وتكون لهم الغلبة والنصر لا يوقفهم شيء عن نهب ثرواتكم وقتلكم وتشريدكم وقتل أبنائكم واغتصاب نسائكم وتدمير بلادكم، لا شيء يوقفهم، لا رحمة ولا شفقة ولا عهود ولا مواثيق ولا كلام ولا قيم ولا حقوق إنسان، ونحن لا نعي كلام ربنا ولا نفهم مدلولاته! ولذلك نقع في المأساة.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» ابن حبان.

فهؤلاء ليس عندهم إيمان، ولا عندهم دين، بدون أمانة وعهد، إذاً هؤلاء هم عَبَدَةُ المال والشهوات، هم عبدة الدنيا بما فيها، ونحن نلهث وراءهم ونتبع خطاهم.

شجرة الميلاد في الإمارات تكلف الملايين، والاحتفال برأس السنة يكلف الملايين، والاحتفال بعيد الحب يكلف الملايين من أموال المسلمين، فكيف يأتي النصر؟

قال ﷺ: «لتتبعن سَنَنَ الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» حم – ق – هـ – عن أبي سعيد، ك – عن أبي هريرة.

وقال ﷺ: «لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه» ك - عن ابن عباس.

فتاة تضع على رأسها حجاباً تقوم فرنسا وتقعد ويفصلونها من المدرسة، من الجامعة، يُدفِّعُونَها غرامة، لماذا؟ أين الحرية الشخصية؟ أين حرية المعتقد والدين؟ أين حقوق الإنسان؟ كل الحريات ملغاة عندما يكون التعامل مع المسلم! ولو أنها -أي: الفتاة- تعرت ودعت إلى الإباحية فهذه حرية شخصية! إلى الله المشتكى.

الأسلحة الكيماوية والفتك والتهديم والاغتصاب لأطفال المسلمين ونسائهم في كل البلدان محرم دولياً، لكن للمسلمين مسموح بها! ولذلك يمارسونه وفي العراق وفي اليمن وفي بورما، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: 9/ 10]، عدوانهم ووحشيتهم على المؤمنين لا يوقفها شيء، ليس في قلوبهم رحمة، طغت على أعينهم وقلوبهم ومسامعهم الشهوات والدنيا والشيطان.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ قال بعض أهل العلم: إن هؤلاء ديدنهم العدوان على الأعراض والأنفس والأموال، هذه سياستهم وهذا هو منهجهم، يعتدون ويعيشون على ثروات الآخرين، يعتدون ليرضوا شهواتهم وغرائزهم، يعتدون لأنها صارت الصفة والسمة الأساسية فيهم، يعتدون لأنهم لا يؤمنون بدين ولا بعهد، دينهم شهواتهم ودنياهم وملذاتهم.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ وقال بعض أهل العلم: إن هؤلاء إنما يعتدون على أنفسهم، لأن العدل الإلهي لا بد أن يأخذ مجراه، إما في الدنيا أو في الآخرة، أما في الدنيا فقد نرى القحط والزلازل والحرائق والفياضانات والأمراض الفتاكة، أو التدهور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وأما في الآخرة فقد قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: 2/ 202].

والسؤال الآن: لماذا كل هذه المصائب تقع على المسلمين؟

وهناك عدة أجوبة قالها العلماء، ولخصها الله تعالى في آية واحدة فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 8/ 46].

1 - أطيعوا الله ورسوله، عندما نخرج عن منهج الله تعالى لن يأتينا النصر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: 47/ 7].

2 - (ولا تنازعوا): الفرقة في الدين، والقول على الله وعلى رسوله بغير علم، والخلاف في كل شيء، والخلاف العائلي، والخلاف العِرْقي، والخلاف المذهبي والطائفي، والخلاف القومي.

فتكون النتيجة الفشل والانحطاط والضعف والتمزق والتشرذم والكراهية وتسلط الأعداء، فالدنيا وشهواتها تفرق المجتمع وتفرق الناس وتمزق الروابط العائلية، والآخرة توحد وتجمع الناس لأن الهدف واحد، جنة عرضها السموات والأرض.

أوربا تتحد، وأمريكا متحدة، والدول الإسلامية تتفرق وتنقسم ومئة دولة، ومئة عملة، وحدود، وجوازات سفر، وتفتيش وفيزا وما إلى ذلك...

وأمريكا من أقصاها إلى أقصاها لا حدود ولا جواز سفر ولا تفتيش، وكذلك الآن أوربا! لأنهم فهموا أن الاتحاد قوة، والوحدة قوة، ووالله لو أن المسلمين دولة واحدة وعملة واحدة واقتصاد واحد وجيش واحد من كان يقف في وجهنا؟

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نصبر على ماذا؟ على الاضطهاد؟! نصبر على الذل والمهانة؟! نصبر على الاغتصاب والتقتيل؟! معاذ الله.

ولكننا نصبر على بعضنا وعلى خطأ نفوسنا، أَصْبِرُ على أخي في الله مهما كان قريبـًا أو بعيداً، نصبر على أذى بعضنا، نصبر على اعوجاج بعضنا، ننصح، ندعو،

نتحاور، نتفاهم، لأن وحدتنا وتجمعنا أغلى من أي شيء، وأهم من كل شيء.

وسُئِلَ أحد العلماء من بعض الصحفيين: هل كل ما في القرآن صحيح؟ فأجاب العالم بنبرة الواثق: طبعاً بكل تأكيد، فسأل الصحفي: قال الله تعالى في القرآن: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 4/ 141]، والكافرون اليوم يملكون زمام المسلمين فكيف تصح الآية؟ فأجاب العالم: لأننا مسلمين ولسنا مؤمنين، فالمسلم الذي يؤدي شعائر الإسلام فقط، لذلك قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 49/ 14].

ولو أننا مؤمنون حقاً لنصرنا الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 30/ 47].

ولو أننا مؤمنون حقاً لكانت لنا الصدارة في العالم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 3/ 139]، ولو أننا مؤمنون لما كان للكفار علينا سيطرة لنفس الآية (141) النساء: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، ولو كنا مؤمنين لبدل الله حالنا من حسن إلى أحسن، لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران: 3/ 179].

ولو كنا مؤمنين حقاً لكان الله معنا في كل أمورنا لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 8/ 19].

فالمؤمنون هم: كما قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 9/ 112].

نعم إن الله تعالى مع الصابرين على تطبيق شريعته، الصابرين في سبيله، الصابرين في دعوة الناس إلى الله ورسوله، الصابرين على المنهج، الصابرين على طاعة الله ورسوله وعلى تحمل الأذى في سبيل الله تعالى، وكل ما ينتج عن ذلك، صابرين مخلصين محتسبين الأجر عند الله تعالى، همهم الآخرة ومرضاة الله عز وجل، وهدفهم الفردوس

الأعلى لأنهم فهموا وعرفوا وآمنوا واقتنعوا بأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 9/ 111]، وهؤلاء المؤمنين المخلصين الصابرين فهموا بصيرة من بصائر كتاب الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 118].

هذه نصيحة الله عزوجل وهذه تعاليمه لنا فهل عَقِلْنَا هذا؟ هل فهمنا هذا؟ هل استوعبناه؟

وهذا أمر رباني آخر، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 3/ 28].

وقد عمم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية فقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الكافرين أيـًا كانوا، ثم خصص الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 5/ 51].

هذا قول ربنا سبحانه وتعالى وهذا منهجه، فما بالك بالذين يصرفون الملايين للاحتفال بعيد رأس السنة؟ وملايين أخرى للاحتفال بعيد الميلاد الكاذب الذي ليس له أصل لا في النصرانية ولا في غيرها، ويصرفون الملايين في عيد الحب وإخوانهم في سوريا، في فلسطين، في كشمير، في بورما يموتون جوعـًا برداً ومرضـًا! صدق رسول الله ﷺ: «لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم